Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الشواهد الشعرية والأدبية ما أورده ابن سنان الخفاجي (ـ ٤٦٦ هـ)، إذ يقول: ومن نعوت الفصاحة والبلاغة أن يُراد معنى فيوضّح بألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود، وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز أنّ تمثيل المعنى يُوضّحه ويخرجه إلى الحسّ والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأنّ المثال لا بدّ من أنْ يكون أظهر من الممثَّل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه، ومن هذا الفنّ قول الرمّاح بن ميّادة:

ألـمْ تكُ في يُمـنى يديكَ جعلتني فلا تجعلَنّي بَعْـدهـا في شمـالكـا

فأراد: إني كنتُ عندك مُقدّماً فلا تُؤخرني، ومُقَرّباً فلا تُبعدني، فَعَدل في العبارة عن ذلك: إلى أني كنت في يمينك، فلا تجعلني في شمالك، لأنّ هذا المثال أظهر إلى الحِسّ[٧٠].

ولذلك اشترطوا لجزالة اللفظ أصولاً، فقالوا: فأمّا جزالة اللفظ: فما لم يكن بالمُغْرب المُسْتَغْلَق البدوي، ولا السَّفْساف العاميّ، ولكن ما اشتدّ أسْرُه، وسَهُل لفْظُه، ونأى واستعصب على غير المطبوعين مَرَامُه، وتُوُهِّمَ إمكانُه[٧١].

ومهما قيل فإنّ الفروق في البلاغة العربية، أمرٌ لا ينكره باحث منصف، ووجه ذلك منذ الجاهلية، عندما كانت الملاحظات البلاغية جهوداً مرتبطة بأصحابها، غير معللة، لكنها مقنعة في حينها، ولذلك لم يعترض عليها المتلقي، بل وافق في حكمها وتقبّل قيمتها من غير إنكار. واستمرت هذه المسيرةفي العصر الإسلامي إذا أصبحت تلك النظرات البلاغية معللة محكومة بقيم الدين الجديد (الإسلامي)، وتواصلت تلك التوجيهات البلاغية في العصر الأموي، في صور مجالس، وأحكام وازدادت، لازدياد التركة في فنّ القول العربي.

---

٧٠ ـ سرّ الفصاحة، ص ٢٣٢، ٢٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٧١ ـ قواعد الشعر: أحمد بن يحيى ثعلب (ـ ٢٩١ هـ)، ص ٦٧، تحقيق / د. رمضان عبد التّواب، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٦م. ط ١.